بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ١٤ -

عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَة السَّهْمِي

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ وبَعد:

فَإِنَّ بَنِي سَهْمٍ أَحَدُ بُطُونِ قُرَيْشٍ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَقَدْ كَانَ أَعْظَمَ مَنْ بَرَزَ مِنْهُمْ من صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمْرُو بْنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَدَأَ يَدْعُو النَّاسَ سِرّاً، كَانَ سَيِّدَ بَنِي سَهْمٍ العَاصُ بْنُ وَائِلِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ، وَهُوَ وَالِدُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَقَدْ وَقَفَ العَاصُ هَذَا كَمَا وَقَفَ بَقِيَّةُ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ضِدَّ الإِسْلاَمِ، وَحَارَبُوا الَّذِينَ اعْتَنَقُوهُ مِنْ أَقْرِبَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ بُغْيَةَ فِتْنَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، إِلَّا أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحُولَ دُونَ انْتِشَارِ الإِسْلاَمِ بَيْنَ أَفْرَادِ هَذَا البَطْنِ أَوْ ذَاكَ، فَالإِسْلاَمُ دِينُ الفِطْرَةِ وَلاَ يُمْكِنُ

لِلْعَذَابِ أَنْ يَحُولَ دُونَ آعْتِنَاقِهِ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ، وَكَذَا لَا يُمْكِنُ لِلتَّخْوِيفِ وَالإِرْهَابِ.

لَقَدْ آمَنَ عَدَدٌ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَدَخَلُوا الإِسْلَامَ، وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَيْهِمْ إِذْ وَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ المُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالجُوعِ وَالعَطَشِ، وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ، مَنْ اسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ، يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَنُ مِنْ شِدَّةِ البَلَاءِ الَّذِي يُصِيبُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُبُ لَهُمْ، وَيَعْصِمُهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَئِذٍ بِالهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ فِيهِمْ مَلِكاً لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ.

وَهَاجَرَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ مَعَهُمْ عَبْدُاللَّهِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ سِنَّ الشَّبَابِ، وَيَبْدُو أَنَّ عُمْرَهُ آنَذَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيَقِلَّ عَنِ الخَامِسَةِ وَالعِشْرِينَ، إِذْ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيهِ خُنَيْسٍ الَّذِي كَانَ مُتَزَوِّجاً حَيْثُ يُكَنَّى بِأَبِيهِ فَيُقَالُ لَهُ أَبُو حُذَافَةَ أَوْ أَبُو حُذَيْفَةَ. وَكَانَتْ أُمُّهُ بِنْتُ حَرْثَانَ مِنْ بَنِي الحَارِثِ بْنِ عَبْدِمَنَاةٍ تُعَدُّ مِنْ أُرُومَةٍ كَرِيمَةٍ فِي قُرَيْشٍ أَيْضاً.

وَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْهُمْ هَاشِمُ بْنُ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَأَبُوهُ يَوْمَئِذٍ ـ كَمَا ذَكَرْنَا ـ شَيْخُ بَنِي سَهْمٍ وَهُوَ أَخُو عَمْرِو بْنِ العَاصِ وَأَصْغَرُ مِنْهُ، كَمَا هَاجَرَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، وَأَخُوهُ قَيْسٌ، وَأَخُوهُ خُنَيْسٌ، وَأَبْنَاءُ عَمِّهِمْ الحَارِثِ وَهُمْ: أَبُو قَيْسٍ، وَعَبْدُاللَّهُ، وَسَعِيدٌ، وَالسَّائِبُ، وَمَعْمَرٌ، والحَارِثُ، وَبِشْرٌ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرٌ مَفَادُهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، فَعَادَ بَعْضُهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا كَثِيراً فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ لَمْ يَجِدُوا شَيْئاً مِمَّا نُقِلَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ إِلَّا مُسْتَخْفِينَ أَوْ بِجِوَارِ أَحَدِ الوُجَهَاءِ.

أَمَّا هَؤُلَاءِ العَائِدُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْراً وَأُحُداً، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ. وَقَدْ عَادَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ أَخُو عَبْدِاللَّهِ، وَقَدْ كَانَ صِهْرَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ كَانَ مُتَزَوِّجاً ابْنَتَهُ حَفْصَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْراً، وَأُصِيبَ بِجِرَاحٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مُتَأَثِّراً بِهَا، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ ذَلِكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرٍ، فَكَانَتْ أُمَّ المُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَمِنَ الَّذِينَ عَادُوا هِشَامُ بْنُ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَقَدْ حَبَسَهُ أَبُو العَاصِ بِمَكَّةَ وَبَقِيَ فِيهَا. لِذَلِكَ نُلاَحِظُ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ بَدْراً مِنْ بَنِي سَهْمٍ سِوَى خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهُنَاكَ رِوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ قَدْ حَضَرَ بَدْراً، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ فِي الحَبَشَةِ يَوْمَذَاكَ، وَقَدْ جَاءَ فِيما بَعْدُ وَشَهِدَ المَشَاهِدَ بَعْدَ أُحُدٍ مَعَ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَعَ أَنَّ العَاصَ بْنَ وَائِلٍ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاثَةِ أَعْوَامٍ، إِلَّا أَنَّ المُسْتَضْعَفِينَ بَقَوْا فِي مَكَّةَ حَتَّى مَا بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَفِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنْ عَامِ سِتَّةٍ لِهْجرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحَجَّ عَلَى رَأْسِ ١٤٠٠ مُسْلِمٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى (عُسْفَانَ) الْتَقَى بِمَنْ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ قُرَيشاً قَرَّرَتْ مَنْعَهُ مِنْ زِيَارَةِ البَيْتِ، وَاسْتَعَدَّتْ لِلْقِتَالِ إِنْ دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ، وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدَ قَدْ سَارَ عَلَى رَأْسِ خَيَّالَةِ قُرَيْشٍ لِيَحُولَ دُونَ دُخُولِ المُسْلِمينَ، إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَهْتَمَّ كَثِيراً، وَغَيَّرَ طَرِيقَهُ، إِذِ اتَّجَهَ إِلَى اليَمِينِ، فَرَجَعَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ لِتَقِفَ فِي وَجْهِ المُسْلِمِينَ،

وَوَقَفَ المُسْلِمُونَ بِالحُدَيْبِيَةِ وَمَشَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى تَمَّ الصُّلْحُ، وَقَدْ مَثَّلَ قُرَيْشاً سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ وَكَانَتْ بُنُودُ ذَلِكَ الاتِّفَاقِ:

١ ـ أَلَّا يَزُورَ المُسْلِمُونَ البَيْتَ هَذَا العَامِ، وَأَنْ يَأْتُوا فِي العَامِ المُقْبِلِ، وَيَبْقُوْا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي مَكَّةَ.

٢ ـ تَضَعُ الحَرْبُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ عَشْرَ سَنَواتٍ.

٣ ـ يَرُدُّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ أَتَاهُ مِنْ مَكَّةَ مُسْلِمَاً، وَلَا تَلْتَزِمْ قُرَيْشٌ بِرَدِّ مَنْ يَأْتِيَهَا مُرْتَدّاً.

٤ ـ مَنْ أَرَادَ مِنَ القَبَائِلِ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ قُرَيْشٍ مَكَّةَ فَلَهُ ذَلِكَ.

وَوَجَدَ المُسْلِمُونَ فِي هَذَا الصُّلْحِ شَيْئاً، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَرَامِيَهُ البَعِيدَةَ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي الجَلْسَةِ الخِتَامِيَّةِ حَسْبَ المُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، لَمْ يَبْقَ سِوَى التَّوْقِيعِ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الَّذِي يُمَثِّلُ المُشْرِكِينَ فِي هَذَا الصُّلْحِ، يَرْسِفُ بِالقُيُودِ وَيُرِيدُ أَنْ يَلْتَجِئَ إِلَى المُسْلِمِينَ حَيْثُ إِنَّهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ المُسْتَضْعَفِينَ. فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ ابْنَهُ قَامَ

إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلَابِيبِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ لَجَّتِ القَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا، وَهَذَا أَوَّلُ مَنْ أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ.

وَنَادَى أَبُو جَنْدَلٍ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِماً؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَبِي جَنْدَلٍ: «اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ، وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ صُلْحاً، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لا نَغْدُرُ بِهِمْ».

مَعَ تِلْكَ الكَلِمَاتِ الَّتِي تُلْقِي بِرُوحِ الصَّبْرِ وَالاطْمِئْنَانِ فِي قَلْبِ أَبِي جَنْدَلٍ، كَانَتِ الثَّائِرَةُ تَغْلِي فِي قُلُوبِ المُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ لَا يَتَكَلَّمُونَ احْتِرَاماً لِمَقَامِ العَهْدِ(١).

كَانَ أَبُو بَصِير عُتْبَةُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَحُبِسَ بِمَكَّةَ، وَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَحْبَسِهِ، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَطْلُبُ مِنْهُ إِرْجَاعَهُ

---

(١) خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم، محمد أبو زهرة ـ القسم الثاني.

بِمُقْتَضَى الصُّلْحِ ، وَأَرْسَلَتْ اثْنَيْنَ يَتَسَلَّمَانِهِ، وَوَصَلا إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَأْذَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلاَءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلاَ يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الغَدْرُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً».

قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَرُدُّنِي إِلَى المُشْرِكِينَ يَفْتُنُونَنِي فِي دِينِي».

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ انْطَلِقْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً».

انْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ مَعَهُمَا، وَانْدَمَجَ مَعَهُمَا فِي الحَدِيثِ، وَأَظْهَرَ الاسْتِسْلاَمَ حَتَّى اطْمَأَنَّا إِلَيْهِ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ أَصَارِمٌ سَيْفُكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْظُرُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: انْظُرْ إِنْ شِئْتَ، فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ وَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ صَرَامَتَهُ ثُمَّ عَلاَهُ بِهِ فَقَتَلَهُ، أَمَّا الآخَرُ فَقَدْ وَلَّى مُسْرِعاً رَاجِعاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

«إنَ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزَعاً» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «وَيْحكَ مَالَكَ؟».
قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ قَتَلَ صَاحِبِي و. . .» وَبَيْنَما هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ ظَهَرَ أَبُو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحاً بِالسَّيْفِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَفَيْتَ ذِمَّتَكَ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ، أَسْلَمْتَني لِيَدِ القَوْمِ، وَقَدِ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أُفْتَنَ أَوْ يُعْبَثَ بِي».

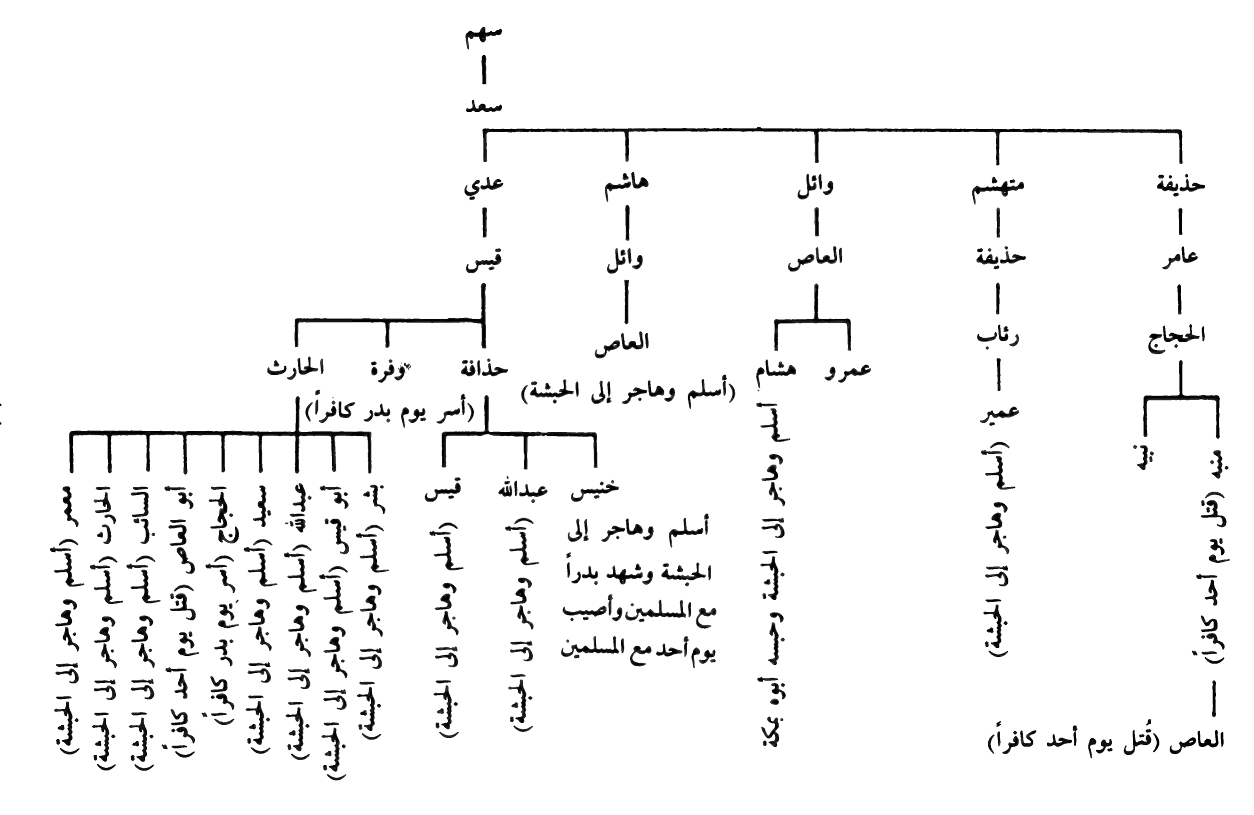
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ».

وَوَقَعَ فِي نَفْسِ أَبِي بَصِيرٍ أَنَّهُ سَيُرَدُّ إِلَيْهِمْ، لِذَا فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سِيفِ البَحْرِ.

وَفَهِمَ المُسْتَضْعَفُونَ فِي مَكَّةَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ» أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَأَصْبَحَ كُلُّ مُسْتَضْعَفٍ يَعْمَلُ عَلَى تَخْلِيصِ نَفْسِهِ وَيَلْتَحِقُ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَانْطَلَقَ أَبُو جَنْدَلٍ إِلَيْهِ، وَانْطَلَقَ مُسْتَضْعَفُونَ وَكَوَّنُوا هُنَاكَ جَمَاعَةً تَقْطَعُ عَلَى قُرَيْشٍ تِجَارَتَهَا، وَتَغِيرُ عَلَى رِجَالاَتِهَا كُلَّمَا سَمِعَتْ بِأَحَدِهِمْ هُنَاكَ. وَشَعَرَتْ قُرَيْشٌ بِالضَّرَرِ يَلْحَقُ بِهَا، فَطَلَبَتْ مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقْبَلَهُمْ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُمْ يَتَنَازَلُونَ عَنْ شُرُوطِ الحُدَيْبِيَةِ، وَتُنَاشِدُهُ الرَّحْمَةَ فِي ذَلِكَ، لأَنَّهُمْ إِنْ ذَهَبُوا إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَالْتَحقُوا بِالمُسْلِمِينَ ذَهَبَ ضَرَرُهُمْ، وَأَصْبَحُوا يَخْضَعُونَ لِلنِّظَامِ الإِسْلاَمِيِّ، والرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصْبِحُ مَسْؤُولاً عَنْهُمْ وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، أَمَّا الآن فَلَيْسَ مِنْ أَحِدٍ يَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ جَرِيرَةَ أَعْمَالِهِمْ.

كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُقْبِلَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى المَدِينَةِ، لَكِنَّ أَبَا بَصِيرٍ وَصَلَ إِلَيْهِ الكِتَابُ وهُوَ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ سَارُوا إِلَى المَدِينَةِ وَلَمْ يَعُدْ لِلْمُستَضْعَفِينَ مَجَالٌ فِي البَقَاءِ بِمَكَّةَ، إِذْ طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ كُلِّ مُسْتَضْعَفٍ أَنْ يُهَاجِرَ، وَمَنَعَ إِقَامَةَ المُسْلِمِ بَيْنَ المُشْرِكِينَ مَا دَامَتْ عِنْدَهُ القُدْرَةُ عَلَى الخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرانِيهِمْ مُهَاجِراً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً. إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ،



سهم
سعد
عدي
هاشم
وائل
متهشم
حذيفة
قيس
وائل
العاص
حذيفة
عامر
العاص
(أسلم وهاجر إلى الحبشة)
رئاب
الحجاج
حذافة
وفرة
الحارث
(أسر يوم بدر كافراً)
هشام
عمرو
أسلم وهاجر إلى الحبشة وحبسه أبوه بمكة
عمير
(أسلم وهاجر إلى الحبشة)
نبيه
منبه (قتل يوم أحد كافراً)
العاص (قُتل يوم أحد كافراً)
خنيس
أسلم وهاجر إلى الحبشة وشهد بدراً مع المسلمين وأصيب يوم أحد مع المسلمين
عبدالله (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
قيس (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
بشر (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
أبو قيس (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
عبدالله (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
سعيد (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
الحجاج (أسر يوم بدر كافراً)
أبو العاص (قتل يوم أحد كافراً)
السائب (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
الحارث (أسلم وهاجر إلى الحبشة)
معمر (أسلم وهاجر إلى الحبشة)

وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[1] وَبَعْدَ ذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَكْثَرَ المُسْلِمينَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ الَّذِينَ بَقَوْا فِي مَكَّةَ قَدِ انْتَقَلُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى المَدِينَةِ. وَقَدْ هَاجَرَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى المَدِينَةِ فِي هَذِهِ المُدَّةِ، سَوَاءٌ أَكَانَ مِنَ المُسْتَضْعَفِيْنَ الَّذِين بَقَوْا فِي مَكَّة، أَمْ مِنَ الَّذِينَ بَقَوْا فِي الحَبَشَةِ، فَحَيَاتُهُ فِي المَدِينَةِ ظَهَرَتْ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ. وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ رِوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي أَنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَيَبْدُو ـ والله أعلم ـ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً مَعَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ سِوَى أَخِيهِ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. عَلَى حِينَ حَضَرَهَا مَعَ المُشْرِكِينَ عَدَدٌ مِنْهُمْ: مِنْهُمْ عَمُّهُ وَفَرْوَةُ بْنُ قَيْسٍ وَقَدْ أُسِرَ يَوْمَذَاكَ بِيَدِ المُسْلِمِينَ، وَابْنُ عَمِهِ الحَجَّاجِ بْنِ الحَارِثِ وَقَدْ أُسِرَ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يَشْهَدْ مَعَ المُسْلِمينَ سِوَى أَخِيهِ خُنَيْسٍ بْنِ حُذَافَةَ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَذَاكَ وَمَاتَ مِنْهَا. عَلَى حِيْنِ حَضَرَهَا عَدَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَقُتِلَ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو العَاصِ بْنِ الحَارِثْ، وَنُبَيْهُ بْنُ الحَجَّاحِ، وَمُنَبِّهُ بْنُ الحَجَّاجِ، والعَاصُ بْنُ المُنَبِّهِ.

---

(١) سورة النساء: الآيات ٩٧ ـ ٩٩.

سَفِيرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُتُباً إِلَى المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلَامِ، وَيُحَمِّلُهُمْ إِثْمَ أَتْبَاعِهِمْ وَرَعَايَاهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُفَرَاءَهُ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ مِمَّنْ لَهُمْ عَلَاقَاتٌ بِالمُرْسَلِينَ إِلَيْهِمْ، وَمِمَّنْ يَعُونَ الأُمُورَ وَيُحْسِنُونَ الرَّدَّ، وَيَتَصَرَّفُونَ بِالشَّكْلِ المُنَاسِبِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ. وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِحَمْلِ هَذِهِ المُهِمَّةِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ الفُرْسِ، وَعَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِمَّنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِبِلَادِ فَارِسَ، وَسَفَرٍ إِلَيْهَا، وَلِقَاءٍ مَعَ كِسْرَى، وَعَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُسْلِمٌ صَادِقٌ لَا يُمْكِنُهُ إِلَّا أَنْ يُطِيعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُنَفِّذَ لَهُ أَوَامِرَهُ كَامِلَةً بِرِضىً، وَيَعُدَّ هَذَا عِبَادَةً وَتَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ وَطَاعَةً لَهُ ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[2].

سَارَ عَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِيهِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ. سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. أَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ. فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ المَجُوسِ عَلَيْكَ».

وَوَصَلَ عَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِ كِسْرَى فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الكِتَابَ وَيُرْسِلَهُ هُوَ عَنْ طَرِيقِهِ إِلَى كِسْرَى، فَرَفَضَ عَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِتَسْلِيمِهِ شَخْصِياً إِلَى كِسْرَى وَلاَ يُمْكِنُهُ إِلاَّ ذَلِكَ. فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى. وَوَصَلَ عَبْدُاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى كِسْرَى وَوَقَفَ أَمَامَ بَابِهِ مُسْتَأْذِناً مَعَ عُظَمَاءِ الفُرْسِ، وَقَدْ

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٠.

أُذِنَ لِعُظَمَاءِ الْفُرسِ ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرَادَ كِسْرَى أَنْ يَدْفَعَ عَبْدُاللَّهِ الكِتَابَ لِغَيْرِهِ، فَأَبَى عَبْدُاللَّهِ إِلاَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ شَخْصِياً، وَقَالَ لَهُ: «كُلِّفْتُ أَنْ أُعطِيَ الكِتَابَ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ»، فَعِنْدَمَا قَابَلَ عَبْدُاللَّهِ كِسْرَى وَسَلَّمَهُ الكِتَابَ، فَلَمَّا قَرَأَهُ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ وَمَزَّقَ الكِتَابَ ـ وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخَبَرُ دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يُمَزَّقَ مُلْكُهُ ـ ثم كَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَذَانَ مَلِكِهِ عَلَى اليَمَنِ: أَنِ ابْعَثْ إِلَى هَـذَا الرَّجُـلِ الَّذِي بِـالحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَينِ مِنْ عِنْدِكَ فَلْيَأْتِيَانِي بِهِ.

لَمْ يَكُنْ بَذَانُ رَجُلاً أَهْوَجَ لِيَتَصَرَّفَ كَمَـا يَأْمُـرُهُ الطُّغَـاةُ المُتَغَطْرِسُونَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الدُّنْيَا بِأَيْدِيهِمْ وَأَنَّ مَنْ فِيهَا تَبَعٌ لَهُمْ، وَأَنَّ أَمْـرَهُمْ نَافِـذٌ عَلَى سَائِـرِ النَّاسِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِبَاذَانَ أَنْ يُنَفِّذَ أَمْرَ مَلِكِهِ، وَلَكِنْ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ.

أَرْسَلَ بَاذَانُ قَهْرَمَانَهُ وَهُوَ بَابَويـهْ، وَكَانَ كَـاتِباً حَـاسِباً، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَ الفُـرْسِ يُقَالُ لَـهُ: «خُرَّخُسْـرَة» وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتاباً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى كِسْرَى، وَقَالَ لِبَابَوِيه: وَيْلَكَ انْظُرْ حَالَ الرَّجُلِ وكَلِّمْهُ وَائْتِنِي بِخَبَرِهِ.

«فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا إِلَى الطَّائِفِ، فَسَأَلَا عَنْهُ، فَقَالُوا: هُوَ بالمَدِينَةِ. وٱسْتَبْشَروا، وَقَالُوا: قَدْ نَصَبَ لَهُ كِسْرَى، كُفِيْتُمُ الرَّجُلَ».

فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا المَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ بَابَوَيه وَقَالَ: إِنَّ شَاهَ شَّاهَ مَلِكَ المُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى المَلِكِ بَذَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ، وَقَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِتَنْطَلِقَ مَعِي، فَإِنْ فَعَلْتَ كَتَبْتُ فِيكَ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ بِكِتَابٍ يَنْفَعُكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ بِهِ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، هُوَ مُهْلِكُكَ وَمُهْلِكُ قَوْمِكَ وَمُخَرِّبُ بِلَادِكَ.

وَكَانَا قَدْ دَخَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ حَلَقَا لِحَاهُمَا، وَأَعْفَيَا شَوارِبَهُمَا، فَكَرِهَ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ: «وَيْلَكُمَا مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا؟» قَالَا: أَمَرَنَا بِهَذَا رَبُّنَا، يَعْنِيَانِ كِسْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنَّ رَبِي أَمَرَني بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي»، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: «ارْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَداً».

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخَبَرُ أَنَّ اللَّهَ

سَلَّطَ عَلَى كِسْرَى ابْنَهُ شِيرَوِيه فَقَتَلَهُ فِي شَهْرِ كَذَا فِي لَيْلَةِ كَذَا وَكَذَا لِكَذَا مِنَ اللَّيْلِ.

فَلَمَّا أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُمَا: «إِنَّ رَبِّي قَتَلَ رَبَّكُمَا لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا لِكَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّيْلِ، سَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شِيرَوِيه فَقَتَلَهُ». فَقَالاَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ؟ إِنَّا قَدْ نَقَمْنَا مِنْكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا، أَفَنَكْتُبُ هَذَا وَنُخْبِرُ المَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبِرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي، وَقُولاَ لَهُ: إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ مُلْكُ كِسْرَى، وَيَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَى الخُفِّ وَالحَافِرِ، وقُولاَ لَهُ: إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ وَمَلَّكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الأَبْنَاءِ[1]». ثُمَّ أَعْطَاهُمَا مِنْطَقَةً فِيهَا ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ كَانَ أَهْدَاهَا لَهُ بَعْضُ المُلُوكِ. وَرَوَى البَيْهَقِي أَنْ شِيرَوِيه هَذَا الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ، قَدْ اسْتَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَنْفُسَهُمُ آمْرَأَةً».

فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدِمَا عَلَى بَاذَانَ فَأَخْبَرَاهُ الخَبَرَ، فَقَال: واللَّهِ مَا هَذَا بِكَلاَمِ مَلِكٍ، إِنِّي لأَرَى الرَّجُلَ نَبِياً كَمَا

---

(١) الأبناء: هم بقايا الفرس في اليمن؛ الذين قدموا لإخراج الأحباش منها.

يَقُولُ، وَلَنَنْظُرَنَّ مَـا قَالَ، فَلَئِنْ كَـانَ مَا قَـالَ حَقاً إِنَّـهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَنَرَى فِيهِ رَأْيَنَا.

فَلَمْ يَلْبَثْ بَاذَانُ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ شِيرَوِيه: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَتَلْتُ كِسْرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا غَضَباً لِفَارِسَ، لِمَا كَـانَ يَسْتَحِلُّ بِقَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَجْمِيرِهِمْ فِي ثُغُورِهِمْ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ قِبَلِكَ، وَانْظُرِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ كِسْرَى كَتَبَ لَكَ فِيهِ فَلَا تُهِجْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي فِيهِ.

فَلَمَّا انْتَهى كِتَابُ ابْنِ كِسْـرَى إِلَى بَاذَانَ قَـالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَرَسُولُ اللَّهِ. فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الأَبْنَاءُ مِنْ فَارِسَ، مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ[1].

---

(١) الوفـا بأحوال المصطفى / عبدالرحمن ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ تحقيق مصطفى عبدالواحد. الجزء الثاني.

دُعَابَةُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كَانَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَاحِبَ دُعَابَةٍ وَضَحِكٍ مَعَ إِخْوَانِهِ، فَفِي شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ نَاساً مِنَ الحَبَشَةِ يَراهُمْ أَهْلُ الشُّعَيْبَةِ ـ سَاحِلٌ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ ـ فِي مَرَاكِبَ؛ فَبَلَغَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيَّ فِي ثَلاَثِمِائَةِ رَجُلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي البَحْرِ، فَخَاضَ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ المَنَازِلِ اسْتَأْذَنَهُ بَعْضُ الجَيْشِ فِي الانْصِرَافِ حَيْثُ لَمْ يَلْقَوْا كَيْداً، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَاللَّهِ بنَ حُذَافَةَ السَهْمِيَّ، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَأَوْقَدَ القَوْمُ نَاراً يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا وَيَصْطَنِعُونَ الطَّعَامَ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ! فَقَامَ بَعْضُ القَوْمِ فَتَحَاجَزُوا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اجْلِسُوا، إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ! فَذُكِرَ

ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ تُطِيعُوهُ»[1].

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا»[2]. فَقَامَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟ قَال: «أَبُوكَ حُذَافَةُ، أَنْجَبَتْ أُمُّ حُذَافَةَ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ»، فَقَالَتْ أُمُّهُ: أَيْ بُنَيَّ، لَقَدْ قُمْتَ اليَوْمَ بِأُمِّكَ مَقَاماً عَظِيماً، فَكَيْفَ لَوْ قَالَ الأُخْرَى؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أُبْدِي مَا فِي نَفْسِي[3].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فِي عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَرِيَّةٍ[4].

---

(١) المغازي: محمد بن عمرو بن واقد المتوفى ٢٠٧ هـ الجزء الثالث.
(٢) الإصابة: ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ. الجزء الثاني.
(٣) طبقات ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ. الجزء الرابع.
(٤) الإصابة.

فِي حجَّةِ الوَدَاع

وَفِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا دَخَلَ ذُو القِعْدَةِ، تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْحَجِّ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالجِهَازِ لَهُ. وَانْطَلَقَ بِالحَجِيجِ لِخَمْسٍ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القِعْدَةِ، وَخَطَبَ النَّاسَ بِالحَجِّ خُطْبَتَهُ المَشْهُورَةَ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ بَعْضَ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَفِي أَيَّامِ مِنَى بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَاللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيُنَادِي فِي النَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهَا أَيَامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ».

وَقَامَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُصَلِّي فَجَهَرَ بِالقِرَاءَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَا أَبَا حُذَافَةَ لَا تُسَمِّعْنِي وَسَمِّعِ اللَّهَ».

فِي الفتوحَاتِ

لَمْ يَلْبَثْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تُوُفِّيَ بَعْدَ أَنْ عَادَ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ ، فَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ وَصَفَرٌ وَتُوفِّيَ فِي ١٢ رَبِيعٍ الأَوَّلِ .

وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ خَلِيفَةً لَهُمْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ العَرَبِ فَبَعَثَ لَهُمُ الصِّدِيِّقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الجُيُوشَ حَتَّى دَانُوا ثَانِيَةً، وَعَادَ الإِسْلَامُ إِلَى جَزِيرَةِ العَرَبِ كَامِلَةً، ثُمَّ جَهَّزَ الجُيُوشَ لِحَرْبِ الفُرْسِ وَالرُّومِ لإِنْهَاءِ الظُّلْمِ مِنْ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعَ المُسْلِمُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً، وَانْخَرَطَ المُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الجُيُوشِ ، وَانْطَلَقُوا مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَتْ وُجْهَةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَادَ الشَامِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مِنْ ضِمْنِ الجَيْشِ الَّذِي يَقُودُهُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوُجْهَتُهُ فِلَسْطِينَ، فَقَاتَلَ عَبْدُاللَّهِ فِي صُفُوفِ هَذَا الجَيْشِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ جُيُوشُ بِلَادِ الشَّامِ كُلُّهَا فِي اليَرْمُوكِ

وَجَاءَهَا مَدَدٌ مِنَ العِرَاقِ بِقيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاشْتَرَكَ عَبْدُاللَّهِ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ، ثُمَّ سَارَتِ الجُيُوشُ بَعْدَ نَصْرِهَا عَلَى الرُّومِ فِي اليَرْمُوكِ مُجْتَمِعَةً كَذَلِكَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى دِمَشْقَ فَحَاصَرَتْهَا فَتَمَّ الفَتْحُ، وَبَعْدَ الفَتْحِ اتَّجَهَ كُلُّ جَيْشٍ إِلَى جِهَتِهِ الَّتِي انْطَلَقَ إِلَيْهَا فِي البِدَايَةِ، وَعَادَ المَدَدُ ثَانِيَةً إِلَى العِرَاقِ، وَإِنْ بَقِيَ خَالِدٌ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الجَبْهَةِ تَحْتَ إِمْرَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ. وَرَغْمَ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ شَارَكَ فِي هَذِهِ الفُتُوحَاتِ وَفِي المَعَارِكِ كُلِّهَا وَلَكِنْ لَمْ يُسْمَعْ بِهِ وَلَمْ يُذْكَرْ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ يُقَاتِلُ صَامِتاً لاَ يَتَكَلَّمُ، وَلاَ يَرْتَفِعُ لَهُ صَوْتٌ، وَكُلُّ الَّذِي عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَقَدَّمُ المُقَاتِلِينَ، وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ.

اِسْتِعْلاءُ الإِيمَانِ

اتَّجَهَ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ إِلَى حِمْصَ وَكَانَ هَذَا المُقَرَّرَ فِي بِدَايَةِ سَيْرِ الجُيُوشِ، وَسَارَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الأُرْدُن حَسْبَ وَجْهَتِهِ الأُولَى، وَانْطَلَقَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى فِلَسْطِينَ إِذِ اتَّجَهَ إِلَيْهَا مِنَ السَّابِقِ يَقْضِي عَلَى مَوَاقِعِ الرُّومِ الَّتِي بَقِيَتْ لَهُمْ فِي تِلْكَ الجِهَاتِ رَغْمَ تَقَدُّمِ المُسْلِمِينَ إِلَى الشَّمَالِ كَثِيراً فِي المَنَاطِقِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَبَقِيَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي دِمَشْقَ وَهِي جِهَتُهُ الأُولَى، وَأَرْسَلَ يَزِيدُ أَخَاهُ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيُنْهِيَ وَضْعَ الرُّومِ عَلَى السَّاحِلِ فَسَارَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّةِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَهُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمَّا كَانَ يَنْطَلِقُ أَمَامَ المُقَاتِلِينَ فَقَدْ أَسَرَهُ أَهْلُ قَيْسَارِيَّةَ مَعَ مِائَةِ أَسِيرٍ، فَأَمَرَ بِهِ مَلِكُهُمْ فَجرِّبَ بِأَشْيَاءَ صَبرَ عَلَيْهَا. ثُمَّ جَعلُوا فِي بَيْتٍ مَعَهُ

الخَمْرُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ثَلاثاً لَا يَأْكُلُ، فَاطَّلَعُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: قَدِ انْثَنَى عُنُقُهُ، فَإِنْ أَخْرَجْتَهُ وَإِلّا مَاتَ. فَأَخْرَجَهُ.

وَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ؟.

قَالَ: أَمَا إِنَّ الضَّرُورَةَ كَانَتْ قَدْ أَحَلَّتْهَا لِي، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُشْمِتَكَ بِالإِسْلَامِ.

قَالَ: فَقَبِّلْ رَأْسِي، وَأُخْلِي لَكَ مِائَةَ أَسِيرٍ.

قَالَ: أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ.

وَرَوَى ابْنُ عَائِذٍ قِصَّةَ ابْنِ حُذَافَةَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّ آبنَ حُذَافَةَ أُسِرَ. فَذَكَرَ القِصَّةَ مُطَوَّلَةً، وَفِيهَا: أَطْلَقَ لَهُ ثَلَاثَمِائَةِ أَسِيرٍ، وَأَجَازَهُ بِثَلاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَثَلَاثِينَ وَصِيفَةً، وَثَلاثِينَ وَصِيفاً(١).

وَلَعَلَّ هَذَا المَلِكُ قَدْ أَسْلَمَ سِرّاً، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مُبَالَغَتُهُ فِي إِكْرَامِ ابْنِ حُذَافَةَ.

وَيَبْدُو أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ أُسِرَ

---

(١) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ. الجزء الثاني.

مَرَّتَيْنِ، وَفِي كِلاَهُمَا حَاوَلَ الرُّومُ أَنْ يُرَاوِدُوهُ عَنْ دِينِهِ فَعَجِزُوا وَاسْتَعْلَى بِإِيْمَانِـهِ فَكَانُـوا أَمَامَـهُ صَاغِـرِينَ، وَرُوِيَتْ رِوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فِي شَأْنِهِ حَتَّى حَسِبَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الأَسْرَ قَدْ وَقَعَ لَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَذَلِكَ لأَنَّهُ فِي كِلاَ المَرَّتَيْنِ كَانَ يُقَبِّلُ رَأْسَ المَلِكِ فَيُطْلِقُ سَرَاحَهُ وَالأَسْرَى الَّذِينَ مَعَهُ، وَذَلِكَ لأَنَّ الرُّومَ يَعُدُّونَ تَقْبِيلَ الرَّأْسِ احْتِرَاماً كَبِيراً، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ حَسْبَمَا يَظْهَرُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ فِي تَقْبِيـلِ رَأْسِ المَلِكِ مِنْ قِبَلِ الأَسِيـرِ مَهَابَـةً لِلْمَلِكِ وَمَهَانَةً لِلأَسِيرِ الَّذِي يُمَثِّلُ دَوْلَةً مُعَادِيَةً لَهُمْ أَوْ مُجْتَمَعاً مُخَالِفاً لَهُمْ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ المُرَاوَدَةَ تَكُونُ لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دُونَ سَائِـرِ الأَسْرَى لأَنَّ فِيـهِ دُعَابَـةً ـ كَمَا ذَكَـرْنَا ـ إِذْ يَضْحَكُ مَعَ الأَسَارَى وَمَعَ الرُّومِ، وَيَحْتَرِمُ زُمَلاَءَهُ فِي الأَسْرِ كَطَبِيعَةِ المُسْلِمِينَ إِذْ يَحْتَرِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيَبْـدُو لِلرُّومِ أَنَّهُ كَبِيرُهُمْ أَوْ أَنَّهُ ذُو شَأْنٍ عِنْدَهُمْ فَيُحَاوِلُونَ عَرْضَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَيْهِ فَيَأْبَى وَيَسْتَعْلِي بِإِيْمَانِهِ فَوْقَهُمْ بَلْ فَوْقَ الدُّنْيَا كُلِّهَا وَتَهُونُ أَمَامَهُ أَنْـوَاعُ العَذَابِ، وَيَسْتَخِفُّ بِـالمَـوْتِ فَمَـا يَـزِيـدُ الـرُّومَ إِلاَّ اسْتِصْغَاراً، وَيَكْبُرُ فِي أَعْيُنِهِمْ كَثِيراً، وَيَعْظُمُ فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ القَوْمِ.

وَجَّـهَ عُمَرُ بْنُ الخَـطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، جَيْشـاً إِلَى الرُّومِ ، فَأَسَرُوا عَبْدَاللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ: فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ.

فَقَـالَ لَهُ المَلِكُ: هَـلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّـرَ وَأُعْطِيَـكَ نِصْفَ مُلْكِي؟.

قَالَ عَبْدُاللَّهِ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مُلْكِ العَرَبِ، مَا رَجَعْتُ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

قَالَ: إِذَنْ أَقْتُلُكَ.

قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيباً مِنْ بَـدَنِهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصُبَّ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرْيِنِ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيهَا، وَهُـوَ يَعرِضُ عَلَيْـهِ النَّصْرَانِيَّـةَ، وَهُوَ يَـأْبَى. ثُمَّ بَكَى. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى. فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ.

مَا أَبْكَاكَ؟.

قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّـاعَةَ فَتَـذْهَبُ،

فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُـونَ بِعَدَدِ شَعْـرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ تُقَبِّلُ رَأْسِي وَأُخَلِّي عَنْكَ؟.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُاللَّهِ: وَعَنْ جَمِيعِ الأُسَارَى؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّـلَ رَأْسَ ابْـنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ. فَقَبَّلَ رَأْسَـهُ[1].

وَمَا مَكَثَ مُدَّةً حَتَّى تَاقَتْ نَفْسُهُ لِلْجِهَادِ فَاسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ وَانْطَلَقَ نَحْوَ بِلَادِ الشَّامِ فَالْتَحَقَ بِجَيْشِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَسْتَعِدُّ لِمِصْرَ فَسَارَ مَعَهُ، وَشَهِـدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَخَاضَ كَثِيراً مِنَ المَعَارِكِ وَهُوَ عَلَى عَادَتِـهِ صَامِتٌ، وَانْتَهَى فَتْحُ مِصْرَ، فَبَقِيَ مُرَابِطاً فِيهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الوَفَاةُ عَامَ ثَلاثَةٍ وَثَلاثِينَ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) سير أعلام النبلاء.

فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، وَهَكذَا انْتَهَتْ حَيَـاةُ هَذَا الصَّحَـابِيِّ الجَليلِ الَّـذِي قَضَى أَكْثَـرَ مِنْ ثَمـانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ أُصيبَ، وَأُسِرَ، وَمَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَاهُ.